الشيخ والمريد

للاستاذ محمد محمود بحبح

تصفحت العددين الاول والثانى من المجلة المباركة المشرقة فتاقت نفسى أن أدلى بدلائى الصغير . وقد اتجهت ناحية علاقة الشيخ بالمريد وعلى أى وضع تكون . فاخترت هذا اللون لعل فى بيانه رفع درجات السالكين والوصول بالمتمهلين ولا أقول المتخلفين .

وقد رأى بعض أئمة الصوفية أن يتحقق فى الشيخ الذى يربى المريدين ويرشد السالكين أمورا منها (ذوق صريح ، وعلم صحيح ، وهمة عالية ، وحالة مرضية ، وبصيرة نافذة) . ويرون وجوب اكتمال هذه الصفات فيه حتى يكون مشكاة تنير الظلام ، وقبسا يهدى الانام ، ونرى أن يكون فى الآخرة راغبا ، وفى الدنيا زاهدا ، وأن يكون هدفه الاسمى . وغايته العظمى ثواب الآخرة ، ورضاء خالقه ومحبة رسوله . وان يكون شعاره (لأن يهدى بك الله رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) .

فالشيخ متى كان شيخا فى خلوته وشيخا فى خاصته وشيخا فى معاملاته وشيخا فى أحكامه وتصرفاته ، لاشك سيربى مريدين سالكين ناجحين هادين مهديين .

ان المريد يأخذ عن الشيخ كل تصرفاته ، يأخذ عنه الاقوال والافعال ، بل يستمد من النظرات والايحاءات لأن بعض الصوفية الكبار كان يربى بالنظر ، وعلى رأس هؤلاء : قدوتنا وشيخنا سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه .

ولهذا كان النجاح فى محيط الصوفية أكبر النجاح فى مجالسهم ومجامعهم وندواتهم ، أكثر من قراءة الكتب وتتبع الاثر والسير . وان ما امتاز به الصوفية عن غيرهم انهم كانوا يعتمدون فى سيرهم على مجاهداتهم فالصوم مبدؤهم ، والزهد حظهم ، والقيام سبيلهم ، والذكر زادهم ، والنظر الى ما عند الله والزهد فيما فى أيدى الناس محط آمالهم .

والنفس متى خلصت من شوائب الطمع والجشع . ومتى اتجهت الى بارئها وتركت ما سواه . صفت وصلحت لكل الفيوضات والامدادات (من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت الحكمة من ينابيع قلبه) وكيف لا يتجه الشيخ فقط الى مولاه ويترك قطعا ما سواه . وهو أول من يعرف : صدق قول القائل :

لا تخضعن لمخلـــوق على طمـــع ... فان ذلك وهن منـــك فى الدين
وأنشد رزق الله مما فى خزائنه ... فان ذلـــك بين الكاف والنـون
واعلم بأنك لا تنـــال خـــردلة ... الا باذن الذى ســـواك من طين

ان لله عبـــــادا فطنـــا ... طلقوا الدنيـــا وخافوا الفتنـــا
نظروا فيهـــا فلمـا علمـوا ... انهـــــا ليست لحى وطنـــا
جعلـــوها لجـة واتخـــذوا ... صـــالح الأعمال فيها سـفنا

شيوخ الطرق الصـــوفية الآن مهمتهم خطيرة وتبعاتهم كبيرة ، فهم يعيشون فى عصر المادية والالحادية والوجودية ، بل وبعض الطوائف التى أول همها محاربة الصوفية .

فان لم يكن شيخ الطريقة مرآة صافية يرى فيها كل من ينظر اليها صورة مصغرة للجنيد ، والثورى ، وابن عطا الله السكندرى ، والشـــعرانى ، وسلامة العزامى فى العصر الأخير ، وأمثال هؤلاء السادة الأعلام .

يجب أن يكون صورة مصغرة لواحد من هؤلاء الدعاة الهداة (**والذيـــن جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**) والا فلن يهدم الصوفية الا بعض من انتسب اليهـــا .

ونحن بحمد الله وهدايته وتوفيقه ، نسير الآن فى عصر يعمل كل من فى الحقل الصوفى رسميه وغير رسميه الى أن يكون التصوف وساما يتحلى به كل مسلم ، ويتحسر من لم تسعده أيامه أن يسير فى ركبهم ويشرب من بحرهم ، ويتزود من زادهم .

وان فى نجاح الثلاثة اعداد من (**مجلة الاسلام والتصوف**) ما يبشـــر بمستقبل زاهر عامر ، واطمئنان كامل غامر ان شاء الله .

ولعلى بهذه العجالة أكون قدأوضحت بعض ما يجب أن يتحقق فى شيخ الطريق .

وفى العدد القادم ان شاء الله نبين ما يجب أن يتصف ويتحلى به المريد .

(**وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب**) .

محمد محمود على بحيح
شيخ الطريقة السطوحية